

الفصل الثاني

فكرة الخلود حديثاً

ودخول الروح مجال البحث العلمى

فى مدينة روشستر بولاية نيويورك وفى النصف الأول من عام ١٨٤٨ علت أصوات كثيرة تضج بالشكوى من سكان حى هايدزفيل الذين ملأهم الرعب لحدوث بعض الظواهر الخارقة للطبيعة، كحدوث طرقات وسماع أصوات غريبة ليس لها مصادر مادية. وإزاء تأكد السلطات المحلية بصحة هذه الظواهر وعجزهم عن بيان مصدرها أو تفسير ذلك، فقد قام المسئولون بتشكيل لجنة تضم مجموعة من العلماء لبحث هذه الظواهر ووضع تقرير عنها.

وبعد دراسة هذه الظاهر دراسة متأنية انتهت اللجنة إلى نسبة هذه الظواهر إلى كائنات غير منظورة، ورجحت أن تكون هذه الكائنات أرواح بعض الموتى. ونظراً لعدم اقتناع المسئولين الاقتناع الكافى ومعارضة الكثيرين لصحة الرأى الذى انتهت إليه هذه اللجنة فقد قاموا بتشكيل لجنة ثانية ثم ثالثة، وانتهى الرأى فى جميعها إلى نسبة هذه الظواهر إلى العالم غير المنظور الذى يعيش فيه موتانا من البشر. ولقد كان من نتائج هذه التقارير أن تدخل علماء آخرون من المعارضين، بغرض إثبات خطأ هذه اللجان، وقاموا بأنفسهم ببحث هذه الظواهر، ولكنهم تحققوا بدورهم من صحة ما جاء بتقرير هذه اللجان، وأثبتوا ذلك فى مؤلفات نشرت لهم فى هذا الخصوص ومن أهمهم :

– العالم روبرت هير Robert Hare وكان أستاذاً بجامعة بنسلفانيا. وله مؤلف عن تحقيق تجريبى فى الظواهر الروحية .

– العالم جون وورث إدmondز John Worth Edmonds الذى عين بعد ذلك رئيساً للمحكمة العليا بنيويورك وكتب تقريراً فى جريدة نيويورك كوريير متضمناً أسماء العلماء العشر الذين استعان بهم للتحقيق فى موضوع الظواهر الروحية فى هايدزفيل، كما أصدر مؤلفه فى الروحية Spiritualism بالاشتراك مع العالم ناثانيل تالمادج Nazhaniel Talmadge.

- العالم جيمس مابيس James Mapes عضو المجمع العلمي الأمريكى، ونشر نتيجة بحثه فى هذا الموضوع عن طريق المجمع العلمى.

وقد أدت هذه التقارير والمؤلفات بطبيعة الحال إلى تطاير الخبر إلى كثير من الدول فى العالم وخاصة الأوروبية منها، وكان الاهتمام بهذه الظواهر كبيراً جداً فى إنجلترا إلى حد أن أصبحت الجلسات الروحية هى الشغل الشاغل للعائلات البريطانية، وتقدم كثيرون إلى «جمعية الفكر المنطقى» بلندن لبحث هذا الموضوع. وعلى أثر ذلك شكلت الجمعية لجنة سنة ١٨٦٩ من أربعة وثلاثين عضواً بغرض إثبات أن الظواهر الروحية مجرد بدعة من الخيال والقضاء عليها نهائياً.

وكانت اللجنة مشكلة من مجموعة من كبار العلماء والذين لا يرقى الشك بحال إلى صحة آرائهم ومن أهم هؤلاء العلماء:

- سير ألفريد والاس Alfred Wallace عضو الجمعية الملكية لتقدم العلوم بلندن وهو من علماء البيولوجى.

• سير جون لايوك Lubbock عضو الجمعية الملكية لتقدم العلوم بلندن .

• شاليز برالون Charles Bralaugh وهو عالم فى العلوم العقلية .

- سير وليام كروكس William Krooks الذى كان عضو الجمعية الملكية لتقدم العلوم ثم أصبح فيما بعد رئيساً لها.

وعلى الرغم من أنه كان من المقرر أن تنهى اللجنة أعمالها خلال بضعة أسابيع إلا أنها استمرت فى عملها ثمانية عشر شهراً تقريباً، قامت خلالها بالعديد من البحوث والتجارب مستعينة بوسطاء غير محترفين وآخذة فى اعتبارها مراعاة الدقة التامة، واتخاذ كافة الاحتياطات اللازمة لمنع أى خطأ أو تدليس.

وفى عام ١٨٧١ قدمت اللجنة تقريراً فى خمسمائة وعشرين صفحة، انتهت فيه إلى أن أعضاء اللجنة الذين كانوا عند بدء تشكيلها ينفون إمكان حدوث ظواهر غير طبيعية، تحققتوا بأنفسهم من حدوث ظواهر عديدة غير مألوفة، كروية أوجه أو أجزاء من أجسام أشخاص غير أحياء، وأيضاً سماع أصوات صادرة من كائنات غير منظورة، وكذا إحضار مجلوبات من خارج إلى داخل الغرفة المغلقة التى تتم فيها التجربة. وبالإضافة إلى ذلك تضمن التقرير حدوث كتابة مباشرة، وكذا ارتفاع بعض الأجسام الصلبة أو قطع الأثاث بغير تدخل أحد من الحاضرين، وأيضاً عبارات تتعلق بإمكانية العلاج الروحى،

إلى غير ذلك.. كما انتهى التقرير إلى عدم قدرة اللجنة على إبداء تبرير علمي أو فلسفي لهذه الظواهر وتوصيتها بضرورة الاهتمام ببذل المزيد من الدراسات والبحوث الحذرة في هذا الموضوع الهام.

ولقد كان لهذا التقرير أثر خطير وكبير جداً في تكالب كثير من العلماء والباحثين على إجراء التجارب والبحوث ووضعوا خبراتهم وأبحاثهم في الكثير من المؤلفات التي أصدروها في هذا الخصوص - ولم يقف الأمر عند ذلك، بل أنشئت الجمعيات الروحية في كثير من الدول، ولا تزال هذه الجمعيات تصدر مجلات علمية تتضمن آخر ما توصل إليه العلم في هذا المجال.

ولقد كان لذلك بطبيعة الحال صداؤه في مصر - فقد قام بعض العلماء بدراسة هذه الظاهر الروحية دراسة متأنية على رغم المعارضة الشديدة لذلك من بعض المثقفين بزعم مخالفتها للدين، أو بوضعها نوعاً من التوهم والخيال يأباه المنطق والعقل ن وقد أعان هؤلاء العلماء على مواجهة هذا التيار المعارض، وجود جذور عميقة لهذا الموضوع في الأمة العربية غرسها عدد من علمائها وفقهائها الأوائل وتشهد بها مؤلفاتهم.. ومنهم الأئمة الغزالي وابن القيم وابن سينا وابن رشد وإبراهيم بن حسن البقاعي.. وغيرهم.. وتدلم جميع هذه المؤلفات على صحة الظواهر الروحية وأن البحث في أثر الروح من العلوم التي يجب أن تنال عناية العلماء.

ولقد أكد هذه الحقيقة كذلك علماءنا الحديثون وحملوا لواء البحث في العلوم الروحية وكانوا من الرواد في مجال البحث الروحي في العصر الحديث وهم:

- الأستاذ المرحوم / أحمد فهمي أبو الخير الذي أسس جمعية الأهرام الروحية.
- الأستاذ الدكتور المرحوم / رؤوف عبيد أستاذ القانون الجنائي ووكيل كلية الحقوق عين شمس الأسبق.

- الأستاذ الدكتور المرحوم / على عبد الجليل راضى الذى كان أستاذ الفيزياء بكلية العلوم بجامعة عين شمس ورئيس جمعية الأهرام الروحية.

- الأستاذ الدكتور المرحوم / مصطفى الديوانى الذى كان أستاذاً بكلية الطب بجامعة القاهرة ووكيل جمعية الأهرام الروحية.

- العالم الشيخ / طنطاوى جوهرى مؤلف كتاب «الأرواح» الذى نشر عام ١٩٢٠ وأثار ضجة علمية وعالمية كبيرة.. وكان له فضل كبير فى حث علماء مصر ومفكرها على

ضرورة الاهتمام بالعلوم الروحية التي لم يعد هناك شك في صحتها وعدم معارضتها للأديان السماوية، وذلك بقوله في كتابه السابق الإشارة إليه (فهل نقف أمام مثل هذه الحوادث صامتين؟ إنه لعيب فاضح وخطأ واضح وشين بين، نحن أحق بهذا العلم من الغربيين. إن الأمر لجلل يعوزه كتب تؤلف ومجامع تحشد وعلماء تنقد. أنا لست في كتابي هذا أثبت العلم الروحي فحسب، فلقد سبقني إليه من نشروا الفكر وأذاعوا أمره .. ولكنى أجد ذلك يطابق ما نص عليه الغزالي وغيره بطريق الكشف).

ولقد كانت الآمال معقودة على أن تؤدي الجهود الكبيرة التي بذلها هؤلاء العلماء الرواد في مصر إلى نشر الوعي الروحي، وإنشاء العديد من المراكز البحثية لتباشر مهامها في مختلف مدن الجمهورية غير أنه للأسف الشديد تراجعت الأمور كثيراً بعد وفاة أولئك الرواد إلى حد أن ألغيت جمعية الأهرام الروحية لعدم اهتمام القائمين عليها باستيفاء المتطلبات القانونية لاستمرارها وعدنا من جديد إلى نقطة البدء، مما أدى إلى اتساع الفجوة بيننا وبين الدول الغربية بما يقدر بقرن ونصف من الزمان.

كما أنه غير خاف على أى باحث عربى أن جميع المؤلفات باللغة العربية فى هذا الموضوع منذ كتاب الروح لابن القيم وحتى وقتنا هذا، لا يتوفر لها وعلى قلتها الجانب العلمى التجريبي والمشاهدة حيث تتميز بذلك الدراسات والأبحاث الروحية الحديثة فى المجتمعات الغربية وإن كانت كتبنا تحوى صفحات عن الجلسات الروحية التى أجريت بالخارج وأسماء الذين أشرفوا عليها والوسطاء الذين باشروها هناك والنتائج التى تم التوصل إليها وكلها تؤكد صحة الاتصال بأرواح الموتى والتحدث معهم، وبعضها مشفوع بصور هؤلاء الموتى حال تجسدها.

غير إننى أعتقد أن ذلك قد لا يروى ظمأ القارئ العربى لسببين:

أولهما: أنه لا يعرف عن العلماء التى أجروا الأبحاث والتجارب سوى أسمائهم وكلهم من الأجانب أما مكاتبتهم العلمية أو مؤلفاتهم وآرائهم وما استندوا إليه من نظريات علمية فلا يدري عن ذلك شيئاً.

ثانيهما: وجود بعض المعتقدات الدينية الخاطئة التى تؤدى إلى التشدد مع العلوم الروحية تؤدى إلى تكذيب ورفض كل ما يعرض عليه ما لم يكن هناك أدلة وبراهين دينية وعلمية قاطعة تساند ما يعرض عليه.

ولا شك فى أن الاستدلال بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من شأنه أن يولد لدى الناس - حتى غير المسلم منهم - المزيد من الاقتناع ويعد البديل الأوحى للجانب

التجريبي الذي تفتقر إليه في العالم العربي في مجال الدراسات الروحية البحتة - خاصة وأن الإسلام قد عنى بهذا الموضوع عناية كبيرة ووردت في شأنه آيات كثيرة في كتاب الله فضلاً عن الأحاديث النبوية الشريفة.

وجدير بالذكر هنا في هذا الخصوص أنه لو كان علماء الغرب الروحيون على دراية بالإسلام وما أتى به القرآن الكريم في هذا الخصوص وأفصحته عنه السنة الشريفة لطفروا بالعلوم الروحية طفرات تضاعف عشرات المرات ما هي عليه الآن.

وفي كتابه «أنت تحيا بعد الموت» تحت عنوان الإنسان نعمة في سلم موسيقى» يقول العلامة المصرى الأستاذ الدكتور المرحوم/ على عبد الجليل راضى الذى كان أستاذاً للفيزياء بجامعة عين شمس ورئيساً لجمعية الأهرام الروحية:

(كل ما نسمع عنه من أشعة أو أمواج ابتداء من أمواج اللاسلكى إلى أمواج ما وراء الحمراء إلى أمواج الضوء أى الطيف المنظور ثم الأمواج فوق البنفسجية ثم أمواج أكس إلى أمواج الخلايا الحية إلى أمواج جاما إلى الأشعة الكونية.. الخ).. كل هذه يجمعها جدول أو سلم واحد تأخذ درجاته أو ذبذباته فى الارتفاع بالتدرج. وتبدأ من ٦٠٠٠ ذبذبة فى الثانية وتنتهى إلى عدد ٤ وأمامه واحد وعشرون صفراً من الذبذبات فى الثانية.

وما يحسه الإنسان ببصره هو الطيف المنظور الذى يتراوح بين ٣٧٥ مليار، ٧٥٠ مليار ذبذبة فى الثانية. وبعملية حسابية بسيطة يمكننا استنتاج أن ما تراه من جدول هذه الأمواج التى يعج بها الكون هو بنسبة ١ إلى ١٠ مليون مما يدل على مدى ضيق المجال الحسى لدى الإنسان. وعجزه عن رؤية بقية الأمواج سواء تحت أو فوق الطيف المنظور.

ويمكننا أن نتصور أن أعيننا قد خلقت للإحساس بهذا المجال الضيق فى حين عين القط أو الكلب مثلاً يمكنها رؤية مجال أوسع من مجالنا. ويمكنها أن تتصور أيضاً أعين على نفس القياس يمكن أن تصبح لنا عين ترى مجالاً أوسع. وهذا ما يقول عنه العلماء الروحيون حينما يتكلمون عن عين الجسم الأثيرى (النجمى) التى ستبدأ عملها حالما تحدث الوفاة. ولو تذكرنا أن الإنسان - بناء على قول أهل اليوجا - له سبعة أجسام متدرجة فى الذبذبة - فمعنى هذا أنه كلما لبس الإنسان هذه الأجسام بالتدرج واحداً بعد واحد ارتفعت عنده كفاءة تلك العين وليست هى فقط بل بالتالى ارتفعت عنده كل الإحساسات الأخرى سواء كانت معلومة لدينا أو سنعلمها فيما بعد.

وقد بدأ العلماء يدخلون النظريات العلمية خاصة الفيزياء فى مجال البحث عما سيحدث بعد خط الموت.. فمثلاً يقول الدكتور «وليم تيلد» من جامعة ستانفورد الأمريكية فى كتابه

«الجسم البشرى» أنه يقترح نموذجاً أو سلماً ذبذبياً لبيبن الحيوانات أو الحالات السبع التى سيمر بها الإنسان. ويبين بالرسم البيانى أشكالها محاولاً تقليد الرسم التقليدى لإيجاد العلاقة بين التردد أو عدد الذبذبات فى الثانية وبين شدة الذبذبة. إذ يؤخذ الأول فى الرسم على المحور الأفقى والثانى على المحور الرأسى.. ثم تكلم عن إمكانية تداخل عنده الحالات السبع واحدة فى الأخرى. وذلك عند استعمال العقل الذى يمكنه بالفكر تنظيم الذرات والجزئيات التى تكون مادة المستوى الذى يريد التأثير فيه. فمثلاً يمكنه وهو فى الجسم الأثيرى أن يؤثر فى الجسم الفيزيقي والعكس بالعكس. كما قال أن وجود الإنسان فى الحالات العلوية لا يتقيد بالمكان أو الزمان وهناك يكون ذلك الوجود هو المعبر حقاً عن الإنسان الأصلى).

ويقول الدكتور المرحوم/ على راضى أيضاً بتعليقاً على ما قاله العالم الدكتور

وليم تيلد :

(ويمكننا أن نمثل هذه الفكرة بافتراض سلم ذبذبى لكل شخص منا على نمط السلم الموسيقى. إذ المعروف أن هناك نغمة أساسية وجواب النغمة «أى ضعفها فى التردد» وهكذا. فالشخص محمد مثلاً ولتكن ذبذبته فرضاً فى العالم الفيزيقي ٥٠٠٠ فيمكن أن يكون له وجود أثيرى فى ذبذبته ١٠٠٠٠ وجود ثالث فى ذبذبته ١٥٠٠٠ وهكذا سيكون الوجود السابع ٣٥٠٠٠ ذبذبة فى الثانية. وعلى نفس المنوال يبدأ إبراهيم مثلاً من ٦٠٠٠ وينتهى إلى ٤٢٠٠٠٠ ذبذبة فى الثانية وهكذا.. ويعرف الموسيقيون أن دقة معينة على البيانو مثلاً عند سماعها لا تكون منفردة بل قد يصحبها نغماتها التوفيقية الأعلى منها أى الأجوبة التى قد لا يستطيع الأذن سماعها. فعلى نفس النمط نحن نرى الإنسان فى جسده الفيزيقي ولا نرى بقية الأجسام السبعة ولا أماكن وجوده فى مستقبله اللانهائى).